مجلة الإحياء، المجلد: 19، العدد: 22، سبتمبر 2019، ص - ص: 237 - 260
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

إسهامات علماء المسلمين في تأسيس علم مقارنة الأديان: أبو الريحان البيروني أنموذجا

Contributions of Muslim Scholars to the Establishment of Comparative Science of Religion: Abu Rayhan al-Biruni as a Model

****

أ. يوسف الشاطر
جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس - المملكة المغربية
prf.chater@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2017/05/24 **تاريخ القبول: 2018/09/14**

الملخص:

يعنى هذا البحث بدراسة إسهامات أبي الريحان البيروني في تأسيس علم مقارنة الأديان، ساعيا إلى إبراز الأثر البارز لهذا العالم المسلم في هذا الفرع العلمي، وسبقه في كثير من قواعده وأصوله، ومن ثم بيان جانب من فضل الحضارة الإسلامية على الحضارة الغربية التي تنسب هذا العلم إليها. وقد سلكت في هذا البحث المنهج الوصفي الاستنباطي، لأخلص في الأخير إلى مجموعة من النتائج منها: أن الحضارة الإسلامية لها الفضل الكبير في ظهور علم مقارنة الأديان وتطوره، وأن علماء المسلمين سبقوا علماء الغرب في كثير من مواضيع هذا العلم وقواعده وأصوله، وأن دراسة علماء المسلمين للأديان (ومنهم البيروني) لم تكن دراسة عشوائية وعبثية، بل كانت قائمة على أصول علمية محكمة. أما أهم توصيات البحث فهي الدعوة إلى مزيد من الاهتمام بهذا

الفرع العلمي (مقارنة الأديان) واعتباره من العلوم الإسلامية المشكلة للتراث الإسلامي.

مقدمة:

اختلف الباحثون حول مسألة نشأة الفرع العلمي الموسوم: "علم مقارنة الأديان" وحول مؤسسيه، وحول بداياته الأولى. فهناك من قال إنه بدأ منذ أقدم العصور مع الإغريق والرومان والهنود[1]، وذهب آخرون إلى أنه علم إسلامي أسسه المسلمون وكتبوا فيه الشيء الكثير[2]. إلا أن الذي عليه أغلب الباحثين في هذا المجال هو أن هذا العلم لم يظهر علما قائما بذاته وفق مناهج وقواعد معينة، إلا في أوربا منذ أواسط القرن التاسع عشر، فهو علم حديث النشأة، "وضع وثيقته التأسيسية عالم الفيلولوجيا ماكس مولر[3].

ورغم أن علم مقارنة الأديان يعتبر علما حديثا لم يظهر بمناهجه العلمية إلا مع فجر القرن التاسع عشر في أوربا، فإن جذوره وإرهاصاته تمتد في أعماق التاريخ، ذلك أن الحديث عن العقائد البشرية - كما يرى عبد الله دراز - في جوهره شأن قديم - معاصر، لاختلاف الناس في مللهم ونحلهم، تتسع مادته حينا، وتضيق حينا بمقدار تعارف أهل الأديان فيما بينهم، ووقوف بعضهم على مذاهب بعض[4].

فهناك من الباحثين من يشير إلى أن دراسة الأديان قد بدأت منذ أقدم عصور التاريخ، منهم المستشرق الأمريكي ألفرد جيفري (A. Jeffrey) الذي يرى أن الاهتمام بدراسة الأديان إنما يرجع إلى مرحلة موغلة في القدم، هي مرحلة الألواح المسمارية التي يتجلى فيها الاهتمام الواضح بالشعائر الدينية التي كانت تتصل بمراكز العالم القديمة المختلفة، مرورا بالإغريق الذين امتد اهتمامهم إلى وصف أديان الشعوب الأخرى ومقارنتها بالظواهر المتعلقة بما في دياناتهم[5]. ومنهم الباحث الهندي "كيدرنات" (Kedarnath) الذي يرى أن المحاولات الأولى لعلم مقارنة الأديان ظهرت بالهند، غير أن الوضعية السياسية التي كانت سائدة آنذاك حالت دون الاهتمام بهذه المحاولات. يقول:

« Attempts at comparative study of religions have been made in India since very old days, but due to the political subjigation that she had to suffer for long, her voice was not recognised and cared for in the family of nations »[6].

ويرى الباحث الفرنسي "بينار دولا بولاي" (Pinard de la Boullaye) أنه إذا أخذنا كلمة علم بمفهوم واسع يدل على كل معرفة تعتمد على سلسلة دقيقة من الأدلة، فإن علم الأديان يجد جذوره في جهود الفلاسفة الأوائل الذين سعوا لتقديم شرح شامل للكون، مما أدى بهم إلى الإقرار بوجود الإله، وضرورة العبادة[7].

وإذا كان أغلب الباحثين والمتخصصين في ميدان الدراسات العلمية للأديان، يقرر أن الدراسات الجادة والجهود العلمية الدقيقة في مجال علم مقارنة الأديان لم تظهر في الحقيقة إلا في أوربا، وبالضبط مع كتابات "ميلر" في القرن التاسع عشر، فإن كثيرا من هؤلاء يؤكد أن علماء الإسلام قدموا إسهامات لا يمكن إغفال قيمتها العلمية، أو التقليل من شأنها في مجال علم مقارنة الأديان، بل أكثر من ذلك اعتبر بعض الباحثين - سواء من المسلمين أو من الغربيين - علم الأديان، أو علم مقارنة الأديان، علما إسلاميا، ابتكره المسلمون وكان لهم فضل السبق في إظهاره وإخراجه للوجود. يقول عبد الله الشرقاوي: "لقد كان للفكر الإسلامي شرف النشأة الأولى لعلم الدين المقارن، ومن ثم فإن الأبوة الشرعية لهذا العلم تكمن في الفلسفة الإسلامية"[8]. وقال إبراهيم تركي: "إنه من الممكن أن يقال، وفي شيء من الاطمئنان: إن مفكري الإسلام كان لهم فضل السبق في ظهور علم مقارنة الأديان. إذ إنه من الملاحظ أنه لا توجد في الثقافات السابقة على الحضارة الإسلامية مؤلفات تعالج هذا الموضوع بالدقة والمنهجية التي اتسمت بهما الكتابات الإسلامية في هذا الصدد"[9].

وقال آدم متز[10]: "وكان تسامح المسلمين في حياتهم مع اليهود والنصارى، وهو التسامح الذي لم يسمع بمثله في العصور الوسطى، سببا في أن لحق بمباحث علم الكلام شيء لم يكن قط من مظاهر العصور الوسطى، وهو علم مقارنة الملل."[11] وقال فرانز روزنتال[12] (Franz Rossental): "إن

الغرب يعترف اليوم صراحة بأن الدراسة المقارنة للأديان تعتبر واحدة من الإنجازات العظيمة للحضارة الإسلامية، أسهمت في التقدم الفكري للإنسانية كلها."[13] كما أشادت دائرة المعارف البريطانية بجهود المسلمين المتميزة في دراسة الأديان، مشيرة إلى سبق المسلمين - خاصة ابن حزم - في معرفتهم بالأديان معرفة تفوق المعرفة الأوربية:

" Muslim knowledge of other religions was in advance of European knowledge, notably in the work of the theologian Ibn Hazm"[14].

هذا إلى جانب أقوال أخرى كثيرة تصف علماء الإسلام بالسبق في هذا الميدان[15].

ومهما يكن من شأن هذه الأقوال، وشأن قائليها، فإن الموضوعية العلمية تفرض علينا أن نضعها موضع شك وعدم تسليم، خصوصا عندما نطالع أراء أخرى مناقضة تماما لهذه الأقوال، تنفي عن المسلمين أي إسهام في علم مقارنة الأديان[16].

بل وتنفي عن المسلمين أي منهج علمي في التأليف والدراسة، سواء في الأديان أو غيرها من العلوم. فقد تعالت أصوات ولا زالت، واصفة المسلمين بنقلة تراث اليونان، وأنهم كانوا عالة على علمائها وفلاسفتها، لم يقدموا للحضارة الإنسانية شيئا يذكر، سوى أنهم كانوا وسيطا بين الحضارتين اليونانية والأوروبية؛ أخذوا علوم اليونان، وحافظوا عليها إلى أن جاء الأوروبيون فاستعادوها منهم. ومن ثم فإن تاريخ الآداب والفنون والعلوم لا يبدأ عند هؤلاء إلا بمصر القديمة وبابل بدءا خاطفا سريعا، ثم يتوسع ويتشعب ببلاد الإغريق وروما، مارا مرورا عابرا ببزنطة، ومنتقلا إلى القرون الوسطى المسيحية، لينتهي منها آخر الأمر بالعصور الحديثة[17].

في هذا السياق يأتي هذا البحث المعنون بـ: "إسهامات علماء المسلمين في تأسيس علم مقارنة الأديان، البيروني أنموذجا" ليسلط الضوء من جهة على هذا العالم المسلم الذي يبدو أنه أكثر شهرة في الغرب منه في العالم الإسلامي. وليبرز من جهة أخرى أثره وإسهاماته في دراسة الأديان، وما قدمه من أبحاث

ساهمت في تأسيس علم مقارنة الأديان وتأصيله قبل أن يعرفه الغرب بقرون، وفي ذلك اعتراف وإقرار بفضل الحضارة الإسلامية على الحضارة الإنسانية عموما، والحضارة الغربية خصوصا.

مدخل عام:

لقد كانت وراء نشأة هذا الفرع العلمي - مقارنة الأديان - في الفكر الإسلامي، بواعث ودوافع كثيرة تآزرت وتساندت في توجيه علماء الإسلام وحثهم على الإقبال على هذا الحقل العلمي الجديد، وتنميته وتطويره موضوعا ومنهجا[18]. وقد ذكر الباحثون عددا منها[19].

وعموما يمكن القول إن علم الأديان، أو علم مقارنة الأديان قد اجتمعت أسباب ظهوره عند المسلمين من إشارات قرآنية، واتساع رقعة البلاد الإسلامية، واحتكاك المسلمين مع باقي أتباع الأديان الأخرى، إضافة إلى التسامح الذي عرف به المسلمون اتجاه باقي الأديان.

يقول دين محمد ميرا: "لقد ظهرت الدراسة التحليلية النقدية للأديان كنشاط علمي له قواعده وأصوله، ومناهجه ومفاهمه في العالم الإسلامي على أيدي علماء المسلمين الذين كان للقرآن الكريم فضل تنبيههم إليها، وجذبهم نحوها وإن كانت الظروف الاجتماعية مثل الاحتكاك بأهل الأديان الأخرى والتعايش معهم، وكذلك واجبات الدعوة والتصدي لشبهات الآخرين، والدفاع عن حظيرة التوحيد ومبادئ الإسلام كل تلك - مجتمعة أو منفردة - الأسباب المباشرة لبروز هذا النشاط العلمي لديهم"[20].

وهكذا وجد المسلمون أنفسهم – بفعل العوامل السابقة - مدفوعين دفعا نحو تناول الأديان بالدرس والتحليل. فمنذ القرن الثاني الهجري انفتح الفكر الإسلامي على أديان العالم، وجعلها موضوعا مستقلا للدراسة والبحث، ووضع علماء الإسلام لذلك مناهج علمية سديدة، فوصفوا أديان العالم وحللوها وقارنوا بينها وأرخوا لها وانتقدوا بعضها[21].

ورغم أنهم لم يكونوا السباقين إلى ذلك، إلا أن دراستهم للأديان امتازت عن دراسة من سبقهم - حسب عبد الله دراز - بطابعين جديدين: الأول هو أن الحديث عن الأديان أصبح دراسة وصفية واقعية منعزلة عن سائر العلوم

والفنون، شاملة لكافة الأديان المعروفة في عهدهم. والثاني هو أنهم لم يعتمدوا في وصفهم للأديان المختلفة على الأخيلة والظنون، ولكنهم كانوا يستمدون أوصافهم من مصادرها الموثوق بها[22].

وإن الناظر في التراث الإسلامي سيجد أن الحديث عن الأديان قد تقاسمته علوم عديدة[23]، منها علم التفسير، حيث قدم المفسرون إيضاحات وبيانات لا بأس بها من حيث قيمتها العلمية والموضوعية عن الأديان التي ورد ذكرها في القرآن[24]. ومنها علم التأريخ[25]، حيث تعرض المؤرخون للحديث عن الأديان في إطار حديثهم عن الشعوب والأمم التي كانوا يؤرخون لها، إلا أنهم لم يفردوا لها فصولا خاصة، وإنما اختلط الحديث عن الأديان عندهم بالحديث عن أمور أخرى لا تعني الباحث في مقارنة الأديان. ومنها علم الكلام[26]، فقد أفسح المتكلمون جانبا لا بأس به من نشاطهم الفكري للحديث عن الأديان في شيء من الدقة والعمق والتفصيل[27]، حتى اعتبر بعض الباحثين علم مقارنة الأديان مبحثا من مباحث علم الكلام[28].

هذا الاهتمام الكبير بدراسة الأديان عند المسلمين، وهذه الحقول المعرفية المتعددة التي تقاسمت الموضوع، إضافة إلى تنوع العوامل المحيطة بعلماء الإسلام الذين كتبوا عن الأديان، كل ذلك نتج عنه تنوع في مناهج دراسة الأديان عند المسلمين، فمنهم من أرخ ووصف، ومنهم من حلل وانتقد، ومنهم من رد وجادل.

ولعل أهم منهج اتبعه المسلون في دراستهم للأديان، منهج التأريخ والوصف، وهو منهج يعنى بالتأريخ للأديان، ووصف معبوداتها ومعتقداتها وشعائرها وفرقها، دون تحليل أو نقد أو رد أو إبطال.

وقد شغل التأريخ للأديان ووصفها مساحة واسعة من فكر المسلمين حتى امتلأت المكتبة الإسلامية بكتب عديدة ذات صلة بالموضوع، فقد كتب أبو عيسى الوراق (ت247) "مقالات الناس واختلافهم" وكتب آخرون كتبا حملت اسم "المقالات" منهم أبو القاسم البلخي (ت319)، وأبو الحسن الأشعري (ت324)، والناشئ الأكبر[29]، والمسعودي (ت346). ثم كتب النبختي (ت310)كتابه "الآراء والديانات" ، وكتب أبو المعالي العلوي كتابه "بيان

الأديان"، وصنف أبو العباس الإيرانشهري[30] والمسبحي[31] "درك البغية في الأديان والعبادات"، وكتب كثيرون كتبا بعنوان "الملل والنحل" مثل أبي منصور البغدادي، والشهرستاني[32].

ولم يعتمد علماء الإسلام في وصفهم للأديان المختلفة على الخيال والظن ولا على الأخبار المحتملة للصدق والكذب، ولا على العوائد الشائعة في الطبقات الجاهلة التي قد تنحرف قليلا أو كثيرا عن حقيقة أديانها، ولكنهم استمدوا أوصافهم لكل ديانة من مصادرها الموثوق بها، واستقوها من منابعها الأولى[33]. كما امتاز منهجهم في وصف الأديان بالموضوعية والحياد، وبكثير من السمات التي تعتبر اليوم من أهم قواعد البحث في الأديان ودراستها.

المبحث الأول: أبو الريحان البيروني و كتابه "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة"

يعتبر أبو الريحان البيروني رائدا من رواد دراسة الأديان في الفكر الإسلامي، لا لأنه من أوائل من كتب في هذا المجال، ولكن لمنهجه العلمي الرصين الذي اتبعه في حديثه عن أديان الهند. ولا عجب في ذلك، فالبيروني - كما سيأتي في تعريفه - رجل علمي في المقام الأول.

أولا: التعريف بأبي الريحان البيروني[34]

هو أبو الريحان أحمد بن محمد البيروني الخوارزمي، ولد في بلدة بيرون سنة 362هـ/ 973م، وتوفي سنة 440هـ /1048م بغزنة (كابل اليوم). فيلسوف ورياضي ومؤرخ، اطلع على فلسفة اليونانيين والهنود، وكان ذا شهرة عالية ومكانة متميزة عند ملوك عصره. له مؤلفات كثيرة ومهمة في ضروب مختلفة من العلم ترجمت أغلبها إلى أهمّ اللّغات العالمية. ففي الجغرافيا ألَّف: تصحيح الطول والعرض لمساكن المعمور من الأرض. وفي التاريخ ألف: الآثار الباقية عن القرون الخالية. وفي الفلك له: الاستشهاد باختلاف الأرصاد. ومما أُثِرَ عنه في الرياضيات: كتاب استخراج الكعاب والأضلاع وما وراءه من مراتب الحساب. وفي الأدب كتب شرح ديوان أبي تمام. وله في الفلسفة: كتاب المقالات والآراء والديانات، وغير ذلك من المؤلَّفات الضخمة التي تربو على الأربعمائة

كتاب. وبهذه المؤلفات يكاد يكون البيروني قد ألَّف في كل فروع المعرفة التي عهدها عصره.

لقد قدم البيروني إسهامات علمية قيمة في ميدان العلوم التجريبية، فقام بحسابات وحل معادلات لا تعالج اليوم إلا بالأدمغة الالكترونية، واختار أصعب المسائل وحلها، وتسمى هذه المسائل الهندسية والرياضية «مسائل البيروني». وابتكر نظرية خاصة لتقدير «النسبة التقريبية» الضرورية لحساب مساحات ومحيطات الدوائر، وتمكن من تقدير محيط الكرة الأرضية وقطره[35]. واهتم بالخواص الفيزيائية لكثير من المواد، وتناولت أبحاثه علم ميكانيكا الموائع والهيدروستاتيكا، كما انضم مع ابن سينا إلى الذين شاركوا ابن الهيثم في رأيه القائل بأن الضوء يأتي من الجسم المرئي إلى العين. ومن أبرز ما قام به البيروني أنه توصل إلى تحديد الثقل النوعي لـ 18 عنصرًا مركبًا، بعضها من الأحجار الكريمة، مستخدمًا الجهاز المخروطي، وقد استخرج قيم الثقل النوعي لهذه العناصر منسوبة إلى الذهب مرة وإلى الماء مرة أخرى. وفي ظاهرة الجاذبية كان البيروني، مع ابن الحائك، من الرواد الذين قالوا بأن للأرض خاصية جذب الأجسام نحو مركزها. ومن المسائل الفيزيائية التي تناولها البيروني في كتاباته ظاهرة تأثير الحرارة في المعادن، وضغط السوائل وتوازنها، وتفسير بعض الظواهر المتعلقة بسريان الموائع، وظاهرة المد والجزر وسريان الضوء[36].

فلا عجب بعد هذا كله أن نجد المستشرق الألماني "سخاو" يصفه بقوله: "إن البيروني من أضخم العقول التي ظهرت في العالم، وإنه أعظم علماء عصره، ومن أعظم العلماء في كل العصور"[37]. ونجد جورج سارتون يقول فيه: "كان رحّالة وفيلسوفًا، ورياضيًّا، وفلكيًّا، وجغرافيًّا، وعالمًا موسوعيًّا، ومن أكبر عظماء الإسلام، ومن أكابر علماء العالم"[38]، ونجد أيضا المستشرق الروسي كراتشكوفسكي يقول فيه: "لا نملك إزاء هذا إلا الانحناء في خشوع واحترام أمام النتائج العلمية الباهرة التي توصل إليها، والتراث العلمي الحافل الذي أنتجه في ظروف الزمان الذي عاش فيه"[39].

ولا عجب كذلك أن نجد في القمر أماكن تحمل اسمه، وأن تسمي روسيا مدينة وجامعة باسمه، وتقيم له تمثالا في جامعة موسكو، وتنظم في شأنه الندوات، ويكرم من قبل دول عديدة[40].

ثانيا: التعريف بكتاب "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة"

بعد أن استقر المقام بالبيروني في قصر السلطان محمود الغزنوي (ت441) في غزنة، أتيحت له فرصة مرافقته في معظم فتوحاته العسكرية في بلاد "الهند" والتي بلغت سبع عشرة موقعة، وقد أقام البيروني هناك بضع سنين، فكان من ثمرة ذلك كتاب "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة"[41] ويبدو من خلال ما صرّح به البيروني في مقدمة كتابه أنّه كتب هذا الكتاب استجابة لطلب أستاذه أبي العباس الإيرانشهري، حتّى يصحّح ما وقع فيه أستاذه من أخطاء بسبب نقله لروايات العوام[42].

ويعد هذا الكتاب من أضخم كتب المسلمين التي ألفت في مجال تاريخ الأديان، إذ يقع في حوالي ستمائة صفحة، وقد قسمه البيروني إلى ثمانين بابا حوت كما هائلا من الموضوعات المتشعبة والمتشابكة، والتي يصعب حصرها. فبعد مقدمة صغيرة ضمنها البيروني بعض ملامح منهجه في الكتاب، استطرد في الحديث عن كل ما يتعلق بالهند من الناحية الدينية، والاجتماعية، والثقافية، والعلمية وغيرها. حتى أصبح هذا الكتاب موسوعة تاريخية لثقافة الهند، فقد تطرق فيه البيروني لمعتقدات الهنود في الله تعالى، وفي الموجودات العقلية والحسية، وفي الأرواح والجزاء والجنة والنار، ووصف آلهتهم، وطقوسهم، وفرقهم، وكتبهم، ومعارفهم، وبلادهم، وأنهارهم، وبحارهم، وممالكهم، ومنجميهم، وشرائعهم وغير ذلك.

فهو يعدّ وثيقة تاريخية وحضارية فريدة ونادرة تكشف عن عالم الهند قبل دخول المسلمين إليها وبسط نفوذهم عليها[43].

وقد اكتسى الكتاب أهمية كبيرة، واشتهر عند علماء الأديان كواحد من أهم الكتب في المجال، وحظي باهتمام الباحثين والدارسين، خاصة الغربيين منهم، والذين أثنوا عليه، وأشادوا بقيمته العلمية، فقد وصفه المستشرق الروسي

روزين بأنه "أثر فريد في بابه، لا مثيل له في الأدب العلمي القديم أو الوسيط، سواء في الغرب أو في الشرق"[44] وقال فيه آدم متز: "وفي أوائل القرن الخامس الهجري ألف أبو الريحان البيروني كتابه المسمى "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة"، وجعله كتاب حكاية لمذاهب الهند على وجهها، لا كتاب حجاج وجدال، ولذلك لم يناقض الخصوم، ولم يتحرج من حكاية كلامهم، وإن باين الحق، فكان هذا الكتاب كتاب بحث علمي نزيه."[45]

المبحث الثاني: إسهامات أبي الريحان البيروني في علم مقارنة الأديان

إذا كان البيروني قد ساهم إسهاما قيما في كثير من العلوم الإنسانية والتجريبية كما سبقت الإشارة إلى ذلك، فإن إسهامه في علم مقارنة الأديان كان أكثر قيمة وتميزا. وفي ذلك يقول المستشرق الأمريكي آرثر أبهام بوب: "وغير ممكن أن يكتمل أي تاريخ للرياضيات أو الفلك أو الجغرافيا أو علم الإنسان أو مقارنة الديانات، دون الإقرار بالمساهمة العظيمة للبيروني في كل علم من تلك العلوم"[46].

أولا: منهج البيروني في وصف أديان الهند

بدأ البيروني وصفه لأديان الهند بانتقاد سابقيه ممّن اهتمّوا بحضارة الهند وتقاليدها الدينية، وأظهر عيوب كتب المقالات وما عُمل في الآراء والدّيانات، ورأى أنّ أكثرها منحول وبعضها عن بعض منقول وملقوط، مخلوط غير مهذّب على رأيهم ولا مشذّب[47]. ولذلك أقرّ البيروني بأنّه لم يجد من أصحاب كتب المقالات أحدًا قصد الحكاية المجرَّدة من غير ميل ولا مهادنة سوى أبي العبّاس الإيرانشهري[48]. ولذلك فقد اتبع البيروني في وصفه لأديان الهند منهجا خالف به من سبقه من علماء الإسلام، ويمكن إجمال سمات هذا المنهج فيما يلي:

أ- تحري الأمانة العلمية في نقل الأخبار: وهذه من أهم السمات التي يجب توفرها عند جميع العلماء والباحثين في كل أصناف المعرفة، وخاصة في ميدان دراسة الأديان. وقد كان البيروني ملتزما بهذا المنهج في كتابه، فهو ينسب الأقوال إلى أصحابها، وعندما يكون بصدد الحديث عن موضوع ليس لديه عنه معلومات ومصادر وافية وأصيلة، فإنه لا يلجأ إلى التخمين والشك، أو

الافتراض، بل يعلم قراءه عن ذلك بكل شجاعة وصراحة[49]، فمثلا عند دراسته (للشمنية) والحديث عن أساطيرها وخرافاتها يقول: "ولأني لم أجد كتابا للشمنية، ولا أحد منهم أستشف من عنده ما هم عليه، فإني إذا حكيت عنهم فبواسطة "الإيرانشهري" وإن كنت أظن أن حكايته غير محصلة، أو عن غير محصل"[50]. ومن أمثلة الأمانة العلمية لديه أيضا توقفه في باب: "مبدأ عبادة الأصنام وكيفيّة المنصوبات" عن إصدار الحكم في أمر لا علم له به. يقول: "أمّا قولكم إنّ من اليونانية من ذكر أنّ الأصنام تنطق وأنّهم يقرّبون لها القرابين ويدّعون فيها الروحانية فلا علم لنا بشيء منه ولا يجوز أن نقضي على ما لا علم لنا به"[51]

ب- الاعتماد على المعاينة والمشاهدة المباشرة: أي أن البيروني لم يقم بدراسة نظرية لأديان الهند، بل قام بدراسة تطبيقية ميدانية. يدل على ذلك قوله في مقدمة الكتاب: "بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ إنّما صدق قول القائل «ليس الخبر كالعيان» لأنّ العيان هو إدراك عين الناظر عين المنظور إليه في زمان وجوده وفي مكان حصوله"[52] ولم يكتف البيروني بالمشاهدة فقط، بل كان في بعض الأحيان يسأل ويستفسر العلماء والمنجمين ورجال الدين. وفي ذلك يقول: "كنت أقف من منجّميهم مقام التلميذ من الأستاذ لعجمتي فيما بينهم وقصوري عمّا هم فيه من مواضعاتهم"[53].

ج- الحياد والموضوعية[54]: ابتعد البيروني عن النقد والجدل، واختفت مرجعيته الإسلامية في ثنايا الكتاب، فكان مجرد حاك وناقل لما شاهده في بلاد الهند، وكان ذلك مما أكده البيروني في مقدمة كتابه، حيث قال: "... ففعلته غير باهت على الخصم ولا متحرّج عن حكاية كلامه وإن باين الحقّ واستفظع سماعه عند أهله فهو اعتقاده وهو أبصر به. وليس الكتاب كتاب حجاج وجدل حتّى أشتغل فيه بإيراد حجج الخصوم ومناقضة الزائغ منهم عن الحقّ، وإنّما هو كتاب حكاية فأورد كلام الهند على وجهه"[55]، ويقول في موضع أخر: "وأنا في أكثر ما سأورد من جهتهم حاك غير منتقد"[56].

وقد شهد بموضوعية وحياد البيروني ثلة من علماء الغرب:

يقول ألانا G. Allana صاحب الكتاب التذكاري عن البيروني: "إن البيروني ألف كتابه عن الهندوسية ولم يكن فيه منحازا، أو متعصبا، واستشعر واجبه كمسلم في اقتباس نصوصهم كاملة، ولم يكن كتابه كتابا جدليا، بل هو تسجيل تأريخي للحقائق، قد وضع فيه أمام القارئ نظريات الهندوس كما هي"[57].

ويقول الباحث الأمريكي إيمبريك: "يتقدم البيروني نحو فهم الإختلافات الثقافية، ويعرض عقائد الهنود تاركا الهندوسيين يتكلمون عنها بأنفسهم، وبتعبيرهم الخاص"[58].

ويقول بارتولد: "وكان يهتم بالفرق بين دين الخواص ودين العوام، ولا يعترض ولا ينقد مطلقا حينما يشرح العقائد الدينية. كما كان يحافظ - ما أمكن - على العبارات التي يستخدمها معتنقو كل دين، وإذا قارن بين دين ودين، فإنما يقارن بينهما مقارنة علمية محضة"[59].

بل إن حياد البيروني بلغ درجة جعلت إدوارد سخاو يقول: "إنك تقرأ بعناية صفحات عديدة من الكتاب دون أن يتبادر إلى ذهنك أن الكاتب مسلم، وليس هندوسيا"[60].

د- إتباع منهج المقارنة: وقد أعلن البيروني عن ذلك في مقدمة كتابه حين قال: "فأُورد كلام الهند على وجهه وأضيف إليه ما لليونانيين من مثله لتعريف المقاربة بينهم"[61]، ويؤكد الباحث علي بن مبارك أنّ البيروني قد التزم في مختلف فصول كتابه بمنهج المقارنة الذي أعلن عنه في مقدمة كتابه[62]، يقول: "فنجده في مطلع الباب الرابع (حال الأرواح وتردّدها بالتناسخ في العالم) يقارن الديانة الهندية ببقية الأديان من خلال رموزها التأسيسية، فكما أنّ الشهادة بكلمة الإخلاص شعار إيمان المسلمين، والتثليث علامة النصرانية، والإسبات علامة اليهودية، كذلك التناسخ علم النحلة الهندية، فمن لم ينتحله لم يكن منها ولم يعد من جملتها[63].

وفي نفس السياق المنهجي ربط البيروني في الباب الثالث في ذكر اعتقادهم في الموجودات العقلية والحسية، بين مقالة الهند وما ذهب إليه أساطين الحكمة اليونانيين خاصّة فيما تعلّق بالفلسفة الميتافيزيقية. كما شبّه في الباب

الرّابع عند حديثه في نظرية الاستنساخ عند الهندوس كلام حكيمهم باسدو بقول للمسيح، ثمّ ربط كلام كليهما بحكمة اليونانيين قائلا: "وقد كان اليونانيون موافقين الهند في هذا المعتقد[64]"[65].

ثانيا: مصادر البيروني في وصفه لأديان الهند

إلى جانب دراسته الميدانية، اعتمد البيروني كذلك في وصفه لأديان الهند على مصادرها المكتوبة. وقد صرح بذلك في أكثر من موضع، فقال مثلا في سياق حديثه عن كتابه: "ولقد أعيتني المداخل فيه مع حرصي الذي تفرّدت به في أيّامي، وبذلي الممكن غير شحيح عليه في جمع كتبهم من المظانّ، واستحضار من يهتدي لها من المكامن"[66].

والمطالع لكتاب "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة" يجد إشارات متكررة من البيروني إلى كتب الهند، سواء كانت إشارات عامة، أو إشارات خاصة إلى كتب بأسمائها. نذكر من ذلك:

- "ولنورد في ذلك شيئا من كتبهم لئلا تكون حكايتنا كالشيء المسموع فقط"[67]
- "قال السائل في كتاب «باتنجل»: من هذا المعبود الذي ينال التوفيق بعبادته؟ قال المجيب: هو المستغني بأوّليّته"[68].
- "وحقيق علينا أن نورد من كتبهم شيئا من صريح كلامهم في هذا الباب وما يشبهه من كلام غيرهم فيه"[69]
- "ونحن نذكر هاهنا أيضا من كتبهم ما يصرّح بهذه المعاني، ففي "بشن پران": إنّ "ميتري" سأل "پراشر" عن الغرض في جهنّم والعقاب به؟ فأجابه بأنّ ذلك لتمييز الخير من الشرّ والعلم من الجهل وإظهار العدل"[70].

ولعل ما يؤكد مطالعة البيروني لهذه المصادر واعتماده المباشر عليها، ترجمته لكتابين منها، وهو ما صرح به في مقدمة كتابه حيث قال: "وكنت نقلت إلى العربيّ كتابين أحدهما في المبادئ وصفة الموجودات، واسمه "سانك" والآخر في تخليص النفس من رباط البدن ويعرف "بياتنجل" وفيهما أكثر الأصول التي عليها مدار اعتقادهم دون فروع شرائعهم، وأرجوا أنّ هذا ينوب عنهما وعن غيرهما في التقرير ويؤدّي إلى الإحاطة بالمطلوب بمشيئة الله"[71].

يقول المستشرق الروسي فاسيلي فلادمير مؤكدا اعتماد البيروني على المصادر الأصلية للهنود: "وألف كتابا قيما عن الهند، يدل على نظر واسع وحياد علمي تام، وفي كتابه عن الهند معلومات واسعة عن الأديان والعلوم التي فيها، وقد استقاها البيروني من منابعها الهندية المباشرة"[72].

كما أشار البيروني إلى أنه قد اعتمد على أستاذه أبي العباس الإيرانشهري[73]، عند دراسته للشمنية وحديثه عن أساطيرها وخرافاتها. يقول: "ولأني لم أجد كتابا للشمنية، ولا أحد منهم أستشف من عنده ما هم عليه، فإني إذا حكيت عنهم فبواسطة الإيرانشهري"[74].

خاتمة:

لقد اجتمعت في البيروني كل صفات دارس الأديان، فإضافة إلى حياده وموضوعيته، وأمانته في نقل الأخبار، واعتماده على الدراسات الميدانية، ورجوعه إلى المصادر الأصلية، فقد تميز بصفة غابت عن جل علماء الإسلام المتقدمين الذين تطرقوا لموضوع الأديان، ألا وهي إتقانه للغة الأمة التي تناولها بالدرس والوصف، وهي اللغة السنسكريتية[75].

إنّ دراسة الأديان تتطلّب الإلمام بأكثر من لغة ولاسيّما لغة الملّة موضوع الدراسة. وهذا المنهج توخّاه البيروني بكلّ صرامة فأقبل على اللّغة السنسكريتية، لغة بلاد الهند قبل زيارتها، كما أتقن استعمال لغات أخرى قراءة وكتابة من قبيل الخوارزمية والفارسية والسريانية واليونانية[76].

كما كان البيروني رائدا في استخدام ما سمي حديثا بالمنهج الأنثروبولوجي (Anthropological Approach) في دراسة الأديان، وقد أكد صليبا على هذه النقطة قائلا: "لقد أعطى قارئه تقريرا كاملا وصورة واضحة للممارسات الدينية التي تنتمي إلى مختلف الديانات التي درسها، وفي ذلك خدمة جليلة لعلم الأنثروبولوجيا، وتوظيف مبكر له في دراسة الأديان...ولقد عد بعض الباحثين الأنثروبولوجيين المعاصرين البيروني أول عالم أنثروبولوجي مسلم"[77].

بعد هذا يمكن القول وفي شيء من الثقة إنه رغم انتساب علم مقارنة الأديان للغرب، ورغم أن أولى الكراسي العلمية لتدريس هذا العلم ظهرت في

جامعات أوربا، ورغم أن أشهر رجاله ورواده هم غربيون، ورغم أن الكتابات الغربية المعاصرة في هذا العلم تتفوق على الكتابات العربية الإسلامية من حيث الدقة والعمق والتوثيق للمعلومات، وهذا أمر طبيعي كان لابد أن يحدث نتيجة التطور العلمي الهائل، ليس فقط في مناهج البحث، وإنما أيضا في مجال اكتشاف الوثائق والكتب الدينية والاطلاع عليها في مصادرها الأصلية. رغم كل هذا تبقى إسهامات علماء الإسلام في هذا الحقل المعرفي الإنساني أوضح من الشمس في واضحة النهار، ولا أحد يستطيع أن ينكر جهودهم في خدمة هذا العلم، وأثرهم البارز فيه، وتميزهم عمن سبقهم، وسبقهم لمن جاء بعدهم فيه، سواء على مستوى المنهج، أو النتائج المتوصل إليها. وحتى وإن لم يكن علم مقارنة الأديان علما إسلاميا، فيكفي المسلمين فخرا ما قدموه من إسهامات كان لها الأثر الكبير والواضح في تأسيسه وتأصيله.

وهذه أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث :

- ظهور علم مقارنة الأديان باعتباره فرعا علميا مستقلا له مناهجه وأصوله، كان في الغرب أواسط القرن التاسع عشر، على يد ماكس مولر.
- علم مقارنة الأديان له تاريخ طويل وجذور تمتد إلى أقدم العصور، ويمكن أن نعتبره علما تتقاسمه جميع الحضارات والأمم التي مرت في تاريخ الإنسانية.
- عرف الفكر الإسلامي دراسة الأديان منذ وقت مبكر، وساهمت مجموعة من العوامل في دفع المسلمين نحو هذا الحقل العلمي الجديد.
- ساهم علماء الإسلام إسهامات قيمة في علم مقارنة الأديان، تميزوا بها عمن سبقهم، وسبقوا بها من جاء بعدهم في هذا المجال.
- تنوعت مناهج دراسة الأديان عند علماء الإسلام، بين التأريخ والوصف والنقد والمقارنة والرد والجدل.
- وصف البيروني أديان الهند ومذاهبها في كتابه "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة" وجمع صفات أهلته لذلك، أبرزها تمكنه من اللغة السنسكريتية، وقيامه بزيارة ميدانية للهند، واطلاعه على مصادرها الأصلية، وبلغ من الحياد العلمي درجة جعلت البعض يشكك في إسلامه.

كانت هذه أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث، ولا شك أني لم أوف الموضوع حقه، فهو لا زال بحاجة إلى مزيد من البحث والدراسة، فموضوع كهذا "إسهامات علماء المسلمين في تأسيس علم مقارنة الأديان" يحتاج إلى موسوعة ضخمة حتى نحيط بجل أعلام المسلمين الذين أسهموا وكتبوا في الأديان.

وأختم فأقول : إذا كان المسلمون يفتخرون بعلم أصول الفقه، وعلم المقاصد، وعلم النحو، وعلم البلاغة، وغيرها من العلوم الإسلامية الأصيلة، فمن حقهم كذلك أن يفتخروا بعلم مقارنة الأديان، وأن يعطوه من الأهمية ما يعطونه للعلوم الأخرى، سواء على مستوى تدريسه بالجامعات، أو على مستوى إقامة الندوات والمحاضرات.

المصادر والمراجع

- أعلام الجغرافيين العرب، حميدة عبد الرحمن، دمشق، دار الفكر، 1984
- الأعلام، الزركلي خير الدين, بيروت، دار العالم للملايين، 2002
- تطور الفكر العلمي عند المسلمين، عفيفي محمد الصادق، القاهرة، مكتبة الغانجي، 1977
- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، البيروني أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي، عالم الكتب بيروت، 1403
- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، متز آدم، نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1987
- دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند،الأعظمي محمد، الرياض، مكتبة الرشد ناشرون، 2003
- الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، دراز عبد الله، القاهرة، دار القلم للنشر والتوزيع، 2003
- شمس العرب تسطع على الغرب، زغريد هونكه، نقله عن الألمانية فاروق بيضون وكمال دسوقي، بيروت، دار الجيل، دار الأفاق الجديدة، 1993
- العرب وما قدموه للحضارة، طوقان فدوى، بيروت، دار الكتاب العربي

- علم مقارنة الأديان عند مفكري الإسلام، تركي إبراهيم، الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2002
- الفهرست، ابن النديم، تحقيق إبراهيم رمضان، بيروت، دار المعرفة، 1997
- في مقارنة الأديان، بحوث ودراسات، الشرقاوي محمد عبد الله، القاهرة، دار الفكر العربي، 2002
- في علم الدين المقارن، مقالات في المنهج، ميرا دين محمد، القاهرة ، دار البصائر 2009
- اللاهوت العربي وأصول العنف الديني، زيدان يوسف، القاهرة، دار الشروق، 2010
- موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، إيلي ألفا روني، بيروت ، دار الكتب العلمية، 1992
- مدخل لدراسة تاريخ الأديان، حايفي مسعود، دمشق ، دار الأوائل للنشر والتوزيع، 2010

مقالات:

- البيروني والمنهج النقدي، عاكف عدنان، مقال بمجلة الحوار المتمدن، العدد 2539، 27 يناير 2009
- علي بن مبارك، منهج البيروني في دراسة الأديان، مقال بمجلة ثقافتنا، العدد 16، 1429، إيران

كتب أجنبية:

- Tiwari Kedarnath, Comparative religion, Delhi 1983, Motilal Banarsidas, Delhi
- de la Boullaye Pinard, Histoire de l'étude comparée des religions, Copyright by Gabriel Beauchesne, 1922, Paris

الإحالات:

[1]- منهم المستشرق الأمريكي (Alfred Jeffrey) و (Michel Meslin) و (Pinard de la Boullaye)

[2]- منهم الدكتور شلبي. والدكتور عبد الله الشرقاوي، وآدم ميتز.

[3]- في مقارنة الأديان، بحوث ودراسات، عبد الله الشرقاوي، ص57.

[4]- الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، عبد الله دراز، ص90.

[5]- علم مقارنة الأديان عند مفكري الإسلام، إبراهيم تركي، ص45.

[6]- Comparative religion, Kedarnath Tiwari, p1.

[7]-« Si l'on prend le mot science dans un sens large, comme désignant toute connaissance qui ne s'appuie ni sur la seule expérience individuelle, ni sur l'autorité pure, mais sur un enchaînement rigoureux de preuves, la Science de la religion trouve ses origines dans les efforts des premiers philosophes pour fournir une explication totale de l'univers, qu'ils aient abouti à reconnaître l'existence de la divinité et la nécessité d'un culte. » Histoire de l'étude comparée des religions, Pinard de la Boullaye, p23.

[8]- في مقارنة الأديان بحوث ودراسات، ص32.

[9]- علم مقارنة الأديان عند مفكري الإسلام، ص55.

[10]- (1869 - 1917 م) هو مستشرق سويسري ألماني. اهتم بالأدب العربي في القرن الرابع الهجري وما تلاه. له كتاب Die Renaissance des Islams بالألمانية، ترجمه إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة، وسماه «الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري.

[11]- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، أدم ميتز، ج1، ص366.

[12]- ولد في برلين عام 1914 والتحق بجامعة برلين عام 1932 حيث درس الحضارات واللغات الشرقية بها، حصل على درجة الدكتوراه عام 1935 من نفس الجامعة. وعمل أستاذا للغات السامية في كلية الاتحاد العبري في سنساتي بولاية أوهايو. درس اللغة العربية في جامعة بنسلفانيا، وقام بترجمة وتحقيق مقدمة ابن خلدون، وله مؤلفات مستفيضة في دراسة الحضارة الإسلامية منها: مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي.

[13]- في مقارنة الأديان بحوث ودراسات، ص33.

[14]- www.britannica.com, encyclopedia-britannica online .

[15]- من أمثلة ذلك وصف بينار بولاي لابن حزم برائد مقارنة الأديان في الفكر الإنساني كله، واعتبر إيريك شارب ومعه موسوعة وكيبديا أن شرف كتابة أول تاريخ للأديان في العالم اختص به الشهرستاني.

[16]- يقول يوسف زيدان: "ولأن المؤرخين المسلمين وضعوا كتبا للتعريف بعقائد أهل الملل والديانات غير الإسلامية، فقد عد بعضهم علم مقارنة الأديان علما إسلاميا أصيلا، اختفى عن المسلمين حينا من الزمان، ثم عاد إليهم في العصر الحديث". واعتبر يوسف زيدان ذلك زعما علميا مأزوما، مضيفا: "ففي حقيقة الأمر، لم يقدم علماء المسلمين الأوائل علما لمقارنة الأديان، بالمعنى المذكور، بل لم يقدموا تاريخا للعقائد على النحو الواجب... فأما ذاك الذي قدمه ابن حزم والشهرستاني والمسبحي والنوبختي وأمثال هؤلاء، فهو وصف عام لعقائد الفرق والجماعات الإسلامية وغير الإسلامية، فحسب" اللاهوت العربي وأصول العنف الديني، زيدان يوسف، ص26-27.

[17]- شمس العرب تسطع على الغرب، زغريد هونكه، ص57.

[18]- في مقارنة الأديان بحوث ودراسات، ص34.

[19]- ذكر إبراهيم تركي عددا من العوامل معتبرا أنها كانت وراء إقبال علماء الإسلام على هذا العلم، فذكر القرآن الكريم وما حوى من إشارات ودعوات لتناول الأديان بالدراسة والتحليل، والتأكد من أن الإسلام هو الدين الحق، وذكر اتساع الفتوحات الإسلامية، والاحتكاك بأصحاب الديانات الأخرى، كما ذكر ازدهار التأليف عند المسلمين، وتسامحهم اتجاه أتباع الأديان الأخرى. علم مقارنة الأديان عند مفكري الإسلام، ص34-37. وذكر مسعود حايفي عامل الاعتراف بالأخر المختلف دينيا، وعامل نشاط حركة الترجمة في العصر العباسي. مدخل لدراسة تاريخ الأديان، مسعود حايفي، ص43.

[20]- في علم الدين المقارن، مقالات في المنهج، ميرا دين محمد، ص33.

[21]- في مقارنة الأديان بحوث ودراسات، ص32.

[22]- الدين، ص21.

[23]- هذا لا يعني أن دراسة الأديان لم تكن علما مستقلا بذاته في الفكر الإسلامي، فإبراهيم تركي يرى أنها ظهرت في البداية في إطار علوم إسلامية متعددة، قبل أن تستقل بعد ذلك متمثلة في علم مقارنة الأديان. علم مقارنة الأديان عند مفكري الإسلام، ص37.

[24]- نجد ذلك خصوصا في كتب التفاسير التي تتسم بالشمول والتفصيل مثل تفسير الطبري "جامع البيان في تأويل القرآن" وتفسير الزمخشري "الكشاف" وتفسير الفخر الرازي "مفاتيح الغيب".

[25]- من أهم ما كتب في هذا الشأن : كتاب "التاريخ" لأحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي (ت أوائل القرن الرابع)، وكتابات أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت

345)، وجلها مفقود باستثناء كتابين هما: "مروج الذهب" و"التنبيه والإشراف"، وكتاب "البدء والتاريخ" لأبي نصر المقدسي (ت القرن الرابع).

[26]- يمكن تقسيم دراسات المتكلمين للأديان إلى قسمين: القسم الأول يتمثل في تلك الدراسات التي كان هدفها هو الدفاع عن الإسلام والرد على باقي الأديان، ومن أمثلتها كتاب "المغني في أبواب العدل والتوحيد" للقاضي عبد الجبار (ت 415) حيث أفرد جزءا من هذا الكتاب للحديث عن الفرق غير الإسلامية. أما القسم الثاني فتمثل في تلك الدراسات التي اهتمت بالأديان لذاتها، ويتجلى ذلك بوضوح في كتب المقالات والفرق والملل والنحل، مثل كتاب "الملل والنحل" للشهرستاني. علم مقارنة الأديان عند مفكري الإسلام، ص42.

[27]- علم مقارنة الأديان عند مفكري الإسلام، ص37-42.

[28]- يذهب آدم متز إلى أن نشأة علم مقارنة الأديان في الفكر الإسلامي لم تكن من جانب المتكلمين مستدلا بان أوائل من ألفوا في هذا العلم لم يكونوا من المتكلمين، فذكر النوبختي، وهو مؤلف أول كتاب له شان في الآراء والديانات، وذكر المسعودي الذي ألف كتابين في الديانات، وذكر المسبحي، صاحب كتاب درك البغية في وصف الأديان والعبادات، وهؤلاء جميعا لم يكونوا من المتكلمين. الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ص366-367. ويرى عبد الله الشرقاوي من جهته أن علم مقارنة الأديان مستقل عن علم الكلام، معتبرا أن الدليل القائل بأن أكثر من كتب في هذا العلم من المتكلمين غير كاف للتدليل على كون علم مقارنة الأديان جزء من علم الكلام. في مقارنة الأديان بحوث ودراسات، ص35-36.

[29]- عبد الله بن محمد، الناشئ الأنباري، أبو العباس: شاعر مجيد، يعد في طبقة ابن الرومي والبحتري. أصله من الأنبار. أقام ببغداد مدة طويلة. وخرج إلى مصر، فسكنها وتوفي بها. وهو من العلماء بالأدب والدين والمنطق. له قصيدة علي رويّ واحد وقافية واحدة، في أربعة آلاف بيت، في فنون من العلم. وكان فيه هوس. الأعلام، ج4، ص117.

[30]- سيأتي التعريف بهذا العلم في بابه، عند الحديث عن أبي الريحان البيروني الذي يعد أحد تلاميذه.

[31]- محمد بن عبيد الله بن أحمد المسبحي، عز الملك: أمير، مؤرخ، عالم بالأدب. كان على زي الأجناد. أصله من حران، ومولده ووفاته بمصر. له كتاب كبير في تاريخ المغاربة ومصر من أربعين جزءا. توفي سنة 420. الأعلام، ج6، ص259.

[32]- في مقارنة الأديان، بحوث ودراسات، ص38.

[33]- الدين، ص21.

[34]- ينظر في ترجمة البيروني: الأعلام، ج5، ص314. العرب وما قدموه للحضارة، طوقان فدوى، ص163 وما بعدها. تطور الفكر العلمي عند المسلمين، عفيفي محمد الصادق، ص112-115. أعلام الجغرافيين العرب، حميدة عبد الرحمن، ص340-342. موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، ج1، ص299-300.

[35]- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، البيروني أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي، مقدمة الناشر.

[36]- للتوسع في إنجازات البيروني ينظر: علماء العرب وما قدموه للحضارة، ص163-176. تطور الفكر العلمي عند المسلمين، ص114-125. أعلام الجغرافيين العرب، ص340-351.

[37]- تطور الفكر العلمي عند المسلمين، ص122.

[38]- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، مقدمة الناشر.

[39]- البيروني والمنهج النقدي، عاكف عدنان، مقال بمجلة الحوار المتمدن، العدد 2539، 27 يناير 2009.

[40]- تحقيق ما للهند، مقدمة الناشر.

[41]- تحقيق ما للهند، مقدمة الناشر. ينظر كذلك: البيروني والمنهج النقدي، عدنان عاكف.

[42]- يقول البيروني: "وحين بلغ فرقة الهند والشمنيّة (يقصد الإيرانشهري) صاف سهمه عن الهدف وطاش في آخره إلى كتاب زرقان ونقل ما فيه إلى كتابه، وما لم ينقل منه فكأنّه مسموع من عوامّ هاتين الطائفتين ولمّا أعاد الأستاذ أيّده الله مطالعة الكتب ووجد الأمر فيها على الصّورة المتقدّمة حرّص على تحرير ما عرفته من جهتهم ليكون نصرة لمن أراد مناقضتهم وذخيرة لمن رام مخالطتهم، وسأل ذلك ففعلته غير باهت على الخصم ولا متحرّج عن حكاية كلامه" تحقيق ما للهند، ص16.

[43]- منهج البيروني في دراسة الأديان، بن مبارك علي، مجلة ثقافتنا، العدد 16، 1429، إيران.

[44]- أعلام الجغرافيين العرب، ص341.

[45]- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ص367.

[46]- تطور الفكر العلمي عند المسلمين، ص122.

[47]- تحقيق ما للهند، ص15.

[48]- يقول البيروني في مقدمة الكتاب: "وكان وقع المثال في فحوى الكلام على أديان الهند ومذاهبهم فأشرت إلى أنّ أكثرها هو مسطور في الكتب هو منحول وبعضها عن بعض منقول وملقوط مخلوط غير مهذّب على رأيهم ولا مشذّب، فما وجدت من أصحاب كتب

المقالات أحدا قصد الحكاية المجرّدة من غير ميل ولا مداهنة سوى أبي العبّاس الإيرانشهريّ" تحقيق ما للهند، ص15.

[49]- في مقارنة الأديان بحوث ودراسات، ص39، نقلا عن علماء المسلمين وقضية المنهج، دين محمد، المجلة الحولية للجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، العدد الثالث، 1995.

[50]- تحقيق ما للهند، ص206-207.

[51]- تحقيق ما للهند، ص87.

[52]- نفسه، ص13.

[53]- نفسه، ص20.

[54]- بلغ حياد البيروني في وصفه لأديان الهند درجة جعلت بعض الباحثين يقولون بإمكانية انتمائه إلى ديانة من الديانات التي درس، ومن هؤلاء علي أومليل الذي رجح أن يكون للبيروني تعلّق خاصّ بالمانوية، وحجّته في ذلك اهتمامه الكبير بدراسة المانوية، والبحث عن كتبها نيّفًا وأربعين سنة، وهذا العمل - يضيف أومليل - قد لا يقصد به مجرّد اطلاع قوم على مذهب غريب، بل قد يكون الهدف من ورائه أيضا الدعوة إلى هذا المذهب. وقد رد الباحث علي بن مبارك على فرضية أومليل نافيا أن يكون اهتمام البيروني الكبير بالمانوية دليلا على اعتناقه لها، وقدم مثال دراسات المستشرقين للديانة الإسلامية، حيث كرس بعضهم عقودًا من عمره يدرس الإسلام أو جزءًا منه فيبسّط ويترجم ويلخّص تقرّبًا لذهنية الغربيّ، ومع ذلك لم يعتبر أحد ذلك دليلا على اعتناقهم الإسلام. ويضيف قائلا: "لقد أدركت الدراسات الحديثة في الأديان والحضارات أنّ الباحث لا بدّ أن يقترب من موضوع بحثه حتّى يفهمه، وأن يبتعد عنه في مرحلة ثانية حتى ينقده. وعلى هذا الأساس تأسست أغلب النظريات في تاريخ الأديان والأديان المقارنة" منهج البيروني في دراسة الأديان، علي بن مبارك، مجلة ثقافتنا.

[55]- تحقيق ما للهند، ص15-16.

[56]- نفسه، ص22.

[57]- في مقارنة الأديان بحوث ودراسات، ص39، نقلا عن G. Allana, Albairuni، الكتاب التذكاري عن البيروني الذي صدر في باكستان.

[58]- مدخل لدراسة تاريخ الأديان، ص46.

[59]- تطور الفكر العلمي عند المسلمين، ص123.

[60]- مدخل لدراسة تاريخ الأديان، ص46.

[61]- تحقيق ما للهند، ص16.

[62]- منهج البيروني في دراسة الأديان، علي بن مبارك.

[63]- تحقيق ما للهند، ص39.

[64]- نفسه، ص43.
[65]- منهج البيروني في دراسة الأديان، علي بن مبارك.
[66]- تحقيق ما للهند، ص21.
[67]- نفسه، ص23.
[68]- نفسه، ص23.
[69]- نفسه، ص40.
[70]- نفسه، ص48.
[71]- تحقيق ما للهند، ص16.
[72]- تطور الفكر العلمي عند المسلمين، ص122.
[73]- يبدو من خلال إشارة البيروني أن الإيرانشهري كان من علماء الإسلام الذين خاضوا ميدان دراسة الأديان، وأنه كان متقدما في ذلك. يقول البيروني في مقدمة كتابه: "... فما وجدت من أصحاب كتب المقالات أحدا قصد الحكاية المجرّدة من غير ميل ولا مداهنة سوى أبي العبّاس الإيرانشهريّ، إن لم يكن من جميع الأديان في شيء بل منفردا بمخترع له يدعو إليه ولقد أحسن في حكاية ما عليه اليهود والنصارى وما يتضمّنه التوراة والإنجيل وبالغ في ذكر المانويّة وما في كتبهم من خبر الملل المنقرضة، وحين بلغ فرقة الهند والشمنيّة صاف سهمه عن الهدف وطاش في آخره إلى كتاب زرقان ونقل ما فيه إلى كتابه، وما لم ينقل منه فكأنّه مسموع من عوامّ هاتين الطائفتين ولمّا أعاد الأستاذ أيّده الله مطالعة الكتب ووجد الأمر فيها على الصّورة المتقدّمة حرّص على تحرير ما عرفته من جهتهم ليكون نصرة لمن أراد مناقضتهم وذخيرة لمن رام مخالطتهم، وسأل ذلك ففعلته..." ص15. وقد أشار يوسف زيدان إلى هذا العلم، فذكر أنه على أهميته مغمور، فقدت كتبه منذ زمن طويل، ولا يعرف عنه شيء إلا من خلال إشارة لناصر خرسو في كتابه "سفر نامة" ومن إشارة البيروني السالفة الذكر. اللاهوت العربي، ص28.
[74]- تحقيق ما للهند، ص206.
[75]- هناك مجموعة من الأدلة تؤكد تمكن البيروني من اللغة السنسكريتية ، منها ترجمته لكتابين منها إلى اللغة العربية كما صرح بذلك في مقدمة كتابه: "وكنت نقلت إلى العربيّ كتابين أحدهما في المبادئ وصفة الموجودات، واسمه «سانك» والآخر في تخليص النفس من رباط البدن ويعرف «بياتنجل» وفيهما أكثر الأصول التي عليها مدار اعتقادهم دون فروع شرائعهم" ص16. ومنها استعماله الكثيف لبعض مصطلحات هذه اللغة، مثال ذلك قوله: "إلّا أنّي كنت أسمع منهم التصعيد والتكليس والتحليل وتشميع الطلق وهو بلغتهم «تالك» فأتفرّس فيها أنّهم يميلون إلى الطريق المعدنيّ؛ ولهم فنّ شبيه بهذا الباب قد اختصّ الهند به ويسمّونه «رساين» وهو اسم مشتقّ من الذهب" ص134. وقوله

أيضا: "وهم يسمّون طبقاتهم «برن» أي الألوان ويسمّونها من جهة النسب «جاتك» أي المواليد" ص71. ومنها حواره مع علماء الهند، ودليل ذلك قوله: "إنّي كنت أقف من منجّميهم مقام التلميذ من الأستاذ لعجمتي فيما بينهم وقصوري عمّا هم فيه من مواضعاتهم، فلمّا اهتديت قليلا لها أخذت أوقّفهم على العلل وأشير إلى شيء من البراهين والوّح لهم الطرق الحقيقيّة في الحسابات فانثالوا عليّ متعجّبين وعلى الاستفادة متهافتين يسألون: عمّن شاهدته من الهند حتى أخذت عنه" ص20-21.

[76]- منهج البيروني في دراسة الأديان، علي بن مبارك.

[77]- في مقارنة الأديان بحوث ودراسات، ص40-41.